فقه السيرة

د. عبد العظيم بدوي

الدرس (8)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.---اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وعلى وصحبه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار-----.وانتهى بنا الحديث في الدرس السابق عن غزوة أحد وأنها كانت أثرًا من آثار غزوة بدر أراد بها المشركون أن يأخذوا بثأر قتلاهم في بد ر-- ---- انتهى بنا الحديث إلى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- في أول النهار

****صفَّ المجاهدين وجعل ظهرهم للجبل، ------وعيَّن فوق الجبل خمسين حارسًا من أمهر الرماة، ---------- وامرهم بالثبات في مكانهم،------- وألا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم مهما كانت نتائج المعركة،
وعرفنا أنه بدأت المعركة بسم الله، فمكَّن الله -تبارك وتعال- للمسلمين من المشركين، فقتلوا حملة الراية تسعة، كلما تسقط يحملها آخر فيقتل، كلما تسقط يحملها آخر فيُقتل، وتبع المسلمون المشركين بعدما فروا وولوا مدبرين، {فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} [الأحزاب: 26] ويجمعون المغانم.

هنا لما نظر الرماة فوق الجبل إلى إخوانهم في الميدان يجمعون الغنائم -----

قال بعضهم:-- لِمَ البقاء ها هنا وقد نصر الله رسوله؟لماذا نقعد هنا، الحمد لله ربنا نصر المسلمين، والمشركين ولوا مدبرين.----------فقال لهم أميرهم: أنسيتم عهد رسول الله ألا تبرحوا مكانكم حتى يأذن لكم؟

قالوا: إنما أراد أن نحمي ظهر الجيش حتى ينصره الله،--- وقد نصرهم الله، والله لنأتين القوم فنصيب معهم من الغنائم.-----فنزل أربعون من الخمسين، ---وبقي عشرة،-------- فنظر خالد بن الوليد وكان يومها مع المشركين،---------- فرأى أن الجبل قد انكشف، ولم يبقَ عليه غير عشرة، فاستدار في نفر من المشركين وعلوا جبل الرماة فقتلوا العشرة الذين ثبتوا،-- ثم دخلوا في المسلمين من ورائهم فأصابوا منهم ما أصابوا.

وصرخ عدو الله إبليس في المسلمين: أي عباد الله أخراكم ، أي قد جاءكم العدو من ورائكم،-----

فرجعت أولاهم على أخراهم فاجتلدت أولاهم مع أخراهم، المسلمين أنفسهم صاورا يضربون بعض، هذا راجع وهذا متقدم،--- حتى عميت بصائرهم فلم يلتفتوا إلى شيء وجعلوا يضربون بعضهم بعضًا، ونظر حذيفة بن اليمان فرأى أباه والسيوف تعمل فيه، فقال: أبي أبي. تقتلون أبي!فما انحجزوا عنه حتى قتلوه،-------

ونظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرأى أصحابه قد ولوا عنه مدبرين،

فجعل ينادي: (إليّ عباد الله، إليَّ عباد الله)، ------فسمع المشركون صوته -صلى الله عليه وسلم- فعرفوه، فأقبلوا عليه يريدون قتله، ولكن الله عصمه، فأنزل ملائكته تقاتل دونه.

عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: رأيت يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان دون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبرائيل وميكائيل.--------

فقام سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- بين يدي رسولالله -صلى الله عليه وسلم- يرد المشركين، ونفل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له كنانته،-------- وجمع له أبويه ولم يجمعها لغيره، فقال: (ارمِ سعد، فداك أبي وأمي).

وترس أبو طلحة -رضي الله عنه- على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وجعل يحمي السهام عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيتلقفها في صدره ونحره وظهره----، وجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (ارمِ أبا طلحة، ارمِ أبا طلحة).-------وكلما وجد من المسلمين معه سهام يقول:

(انثرها لأبي طلحة، فيرمي أبو طلحة،) فينظر ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- أين وقع السهم، وأبو طلحة يقول: "دونك يا رسول الله، لا يصيبك سهم من سهامهم، نحري دون نحرك".

ومع كل ذلك خلص المشركون إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم------ فأدموا وجهه وكسروا رباعيته، ودخلت حلقة المغفر في وجنتيه، ------ووقع -صلى الله عليه وسلم- في حفرة--، وسال الدم على وجهه الشريف، فجعل يقول: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه نبيه)، ------ وأخذ -صلى الله عليه وسلم- في الانسحاب بالبقية الباقية حوله، حتى انتهى بهم إلى الشعب.-
وأرادت قريش أن تمنع هذا الانسحاب ولكن دون جدوى،--- فانتهى -صلى الله عليه وسلم- بأصحابه إلى الشعب الذي قد نزل فيه أول القتال، فانتهزها أبو سفيان فرصة ليولي الأدبار هو الآخر، وخاف أن تكون الجولة الثالثة للمسلمين كما كانت لهم الجولة الأولى،--------- إلا أنه وقف يشمت بالمسلمين ويفخر، وجعل ينادي:

أفي القوم محمد؟------فقال -صلى الله عليه وسلم: (لا تجيبوه).
قال: أفي القوم أبي قحافة.------قال -صلى الله عليه وسلم: (لا تجيبوه).
قال: أفي القوم ابن الخطاب؟----فقال أبو سفيان لما لم يجبه أحد:---لقد قتل هؤلاء، لو كانوا أحياء لأجابوني،

فلم يملك عمر نفسه حتى قال:---------- كذبت عدو الله، لقد أبقى الله لك ما يخزيك.

فقال أبو سفيان: اعل هبل، اعل هبل -هبل الإله الذي يعبده.
فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: (ألا تجيبوه؟).---قالوا: وما نقول يا سول الله؟
قال: (قولوا: الله أعلى وأجل).--------
فقال أبو سفيان: لنا العزى------ ولا عز لكم.

فقال -صلى الله عليه وسلم: (ألا تجيبوه؟).---
قالوا وماذا نقول يارسول الله:------(((قولوا الله مولانا ولا مولى لكم)))

فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر.---غلبتمونا البارحة في بدر------ واليوم غلبناكم نحن، ونكون تعادلنا.---قال: والحرب سجال، وتجدون مثلة-------.يعني ستجدون من ذاك مَن مثل به.—
-قال: لم آمر بها، أي: لم أقل لأحد يمثل بالقتلى، ولكن لم أغضب لما فعلوا
.قال: لم آمر بها ولم تسيئني، أي ستجدون في قتلاكم مثلة -------مثلها المشركون بقتلاكم لم آمرهم بها، -------- ولكنني ما استأت لها.

مثل المشركون يوم أحد بقتلى المسلمين،------ جدعوا أنوفهم وآذانهم،----- وبقروا بطونهم، حتى أن هندًا بنت عتبة بقرت بطن حمزة -رضي الله عنه- واستخرجت كبده فلاكتها لفظتها،---------

ومثلوا بأنس بن النضر،----- وكان به بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف ورمية بهم وطعنة برمح، حتى ما عرفه أحد إلا أخته عرفته ببنانه، ثم ولى المشركون مدبرين.

فقام النبي -صلى الله عليه وسلم- يثني على ربه، قال لأصحابه: (قوموا لأثني على ربي). - فقام المسلمون واراءه صفوفا، فرفع يديه وقال: (اللهم لك الحمد، ---اللهم لا قابض لما بسطت، ولاباسط لما قبضت،-- ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت،---- ولا معطي لما منعت----، ولا مانع لما أعطيت، ---ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من فضلك ورحمتك وبركاتك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول،-- -- اللهم إني أسألك العون يوم العيلة،---- والأمن يوم الخوف،--- اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، ومن شر ما منعتنا،------ الله حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا،---- وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين،----- اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، -----اللهم قاتل الكفرة الفجرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، وجعل عليهم رجزك وعذابك إله الحق، ----اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق).

قام -صلى الله عليه وسلم- يتفقد أصحابه ويجعل الشهداء---، وحمل نفر من المسلمين شهداءهم ليدفنوهم بالمدينة في مقابر أهليهم، فنادى منادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ادفنوا الشهداء في مضاجعهم.

وقام -صلى الله عليه وسلم- بنفسه يشرف على دفنهم، ---وأمر أن يدفنوا في ثيابهم ودمائهم، لم يغلسهم ولم يصلِّ عليهم،--- كان ربما جمع الشهيدين والثلاثة في قبر واحد، لكن كان يقول: (أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟).----
هؤلاء الشهداء كم معه في صدره قرآن أكثر؟ فكان يقدمه في جهة اللحد إلى القبلة تكريمًا لأهل القران،
فأهل القران يكرمون في حياتهم،---- ويكرمون بعد مماته،----- ويوم القيامة يكرمهم الله -تبارك وتعالى- ويتوجهم بتاج الوقار والكرامة.

فلما فرغ من دفن الشهداء، قام ينظر إليه ويشهد لهم شهادة لا ترد أبدًا إن شاء الله، جعل يقول للشهداء:
(أنا شهيد على هؤلاء، ما من جريح جرح جرحًا في سبيل الله إلا يأتي يوم القيامة ينزف جرحه اللون لون الدم، والريح ريح المسك).

ثم دخل -صلى الله عليه وسلم- المدينة آخر نهار السبت السابع من شوال من السنة الثالثة للهجرة.
وهكذا كانت أحد جولتين اثنتين، الجولة الأولى في بداية النهار للمسلمين، والجولة الثانية للمشركين.

فهل نقول أن المسلمين هزموا في أحد؟-------الجواب: لا، لا نقول إن المسلمين هزموا في أحد. لماذا؟

لأن الله -سبحانه وتعالى - سمى ما يناله المسلمون فتحًا ونصرًا، وسمى ما يناله المشركون نصيبًا، ولم يسمه فتحا ولا نصرا. قال الله تعالى : {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: 141]،--- فسمى الله -تبارك وتعالى- ما يكون للمؤمنين فتحا ونصرا، وسمى ما يكون للمشركين نصيبًا،---------- ولم يسمه فتحًا، فلذلك لا نستطيع أن نسمي ما ناله المشركون يوم أحد نصرًا،---------- ولا أن نسمي ما أصاب المسلمين هزيمة. لماذا؟

1---لأن المسلمين لم يولوا الأدبار ولم يفروا من الكفار،----- وإنما انحازوا فقط نحو الجبل،-----
2---وأبو سفيان نال ما نال، وأخذ نصيبه الذي قدِّر له، ----وأراد أن يسرع بالانصراف بمن معه خارج أرض المعركة خوفًا أن تضيع منه الدولة أو يخسر بعد ذلك الجولة.

3---ولم يقم أبو سفيان بجيشه الذي قالوا أنه انتصر؛ لم يقم بأرض المعركة ثلاثة أيام كما أقام النبي -صلى الله عليه -----وسلم- بأرض بدر ثلاثة أيام،

4 --- بل لم يفكر أبو سفيان في جمع الغنائم من أرض المعركة،
5----فضلًا عن أن يفكر في اقتحام المدينة المنورة،--------- ولذلك لم يعد المسلمون ما أصابهم في أحد هزيمة؛---- بل عدوه نصرًا ------كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما:
"ما نصر الله -تبارك وتعالى- في موطن كما نصر يوم أحد".--لم ينصر الله رسوله والمؤمنين في أي معركة كما نصرهم يوم أحد.---فأنكر عليه بعضهم. قالوا: كيف تسمي هذا نصر وقد قتل منه من قتل، وأصيب من أصيب؟قال:

"ببني وبينكم كتاب الله -عز وجل".------كتاب الله يحكم بيني وبينكم.----فالله -عز وجل- يقول في يو أحد:
{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} [إلى عمران: 152]، -----والحس هو القتل والاستئصال، وإنما دالت الدولة على المسلمين لما عصوا الرسول وفشلوا وتنازعوا في الأمر:----- {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [إلى عمران: 152].

ونزلت في غزوة أحد آيات تربوا عن ستين آية تلقن المسلمين الدروس المستفادة، وتعلمهم أسباب النصر وأسباب الهزيمة،----- فاستفادوا مما نزل في حقهم في سورة آل عمران، فلم يهزموا بعدها بفضل الله -تبارك وتعالى.

إلا أنه كان من الآثار السيئة التي ترتبت على عصيان الرماة
1---وفشلهم وتنازعهم في الأمر يوم أحد، كان من هذه الآثار السيئة أن طمع أبو سفيان في استئصال المسلمين وإبادتهم، وبعث يهدد بذلك،--- وإن كان لم يفعل-- لكن بعث رسائل تهديد،
2--- كما تجرأ المنافقون على إظهار ما في قلوبهم من الشماتة والعداوة للمسلمين،
3--- وتجرأت اليهود أيضًا على ذلك، وكان ذلك خطرًا يهدد المدينة من الداخل،
4--- وكذلك تجرأت القبائل العربية المجاور----ة للمسلمين، وطمعت في استئصالهم وإبادتهم وإطفاء نور الدعوة الذي بعث الله به نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم.

وبالفعل بدأت القبائل العربية المجاورة للمدينة في التحرش بالمسلمين، وكان من هذه القبائل بنو المصطلق، وكان منهم مساعدة لأبي سفيان في يوم أحد،---- فلما كان ما كان في أحد تجرؤا على المسلمين، وفكروا في مهاجمته في المدينة، فسار فيهم ((رئيسهم الحارث ابن أبي ضرار بن المصطلق))------ فدعاه إلى حرب النبي -صلى الله عليه وسلم-، --- خرج إلى القبائل المجاورة وحضه على حرب النبي -صلى الله عليه وسلم- فأجابوه لذلك، ------- وتجمعت جموع لهذه الغاية الدنيئة الخسيسة، {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ} [التوبة: 32].

*****ووصل الخبر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أن بني الصطلق رجعوا الجموع لغزو المدينة،---- فبعث العيون - الجواسيس- يتأكدون من هذا الخبر، هذا أدب التبين من الأخبار،
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات: 6] .

*****جاء الخبر لرسول الله أن بني المصطلق يريدون الهجوم على المدينة،---- فبعث يتأكد أولًا، فبعث من يأتيه بالخبر، فأكدوا الخبر، أن فعلا بني المصطلق يتجهزوا للهجوم على المدينة.

*****فكان لابد للنبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين من التحرك السريع نحو هذه الجموع لتفريقها وتلقينها درسًا قاسيًا لا تنساه يكون رادعًا لغيرها من القبائل التي تفكر أن تحذوا حذوها في حرب الرسول وغزو المدينة.

****فخرج -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه إلى بني المصطلق، فباغتوهم -----فاجؤوهم- في ساعة لا يتوقعونها، بل لم يتوقعوا الهجوم أصلا لأنهم كانوا يظنون كل الظن أن هذه المصائب التي أصابت المسلمين قد أضعفتهم، فجاؤوهم وهم على بئر يقال لها "المريسيع"------- إلا والنبي -صلى الله عليه وسلم- في جيشه.فجأة وهم يسقون من البئر رأوا لجيش، فتفرقوا يمينًا وشمالًا وولوا الأدبار---------- ، فلم يقتل منهم إلا عشرة، وأسروا كلهم.

وسبى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- النساء والذراري، وغنم الأموال دون أي مقاومة تذكر،---
وبهذ لقَّن -صلى الله عليه وسلم- بني المصطلق وغيرها من القبائل المجاورة درسًا لا ينسونه، أراهم من نفسه أن به وبالمسلمين قوة على حماية المدينة،----- ورد كل من يريدها بسوء.----ورجع -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة بالأسرى والسبايا والذراري والغنائم والأموال.-----وكان في السبي------ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن المصطلق ملك بني المصطلق، فوقعت في سهم واحد من الصحابة،--- لما وزع السبي على المجاهدين فكانت من نصيب واحد من الصحابة، فكاتبته. ما معنى كاتبته؟--------يعني اتفقت معه تعطيه مبلغا من المال ويعتقها ويردها إلى أهلها.فجاءت النبي -صلى الله عليه وسلم- تستعين على كتابتها قالت له: يا رسول الله أنا فعلت كذا وأريدك تساعدني.- ----فرأى -عليه الصلاة والسلام- بحسن رأيه ودقة نظره أن يكرمها---- ويرفع من شأنها،------- وينزلها منزلتها اللائقة بها كبنت ملك أو رئيس قوم.

هي أتت إليه تقول: ساعدني حتى أدفع لصاحبي حتى أرجع لأهلي.-----فعرض عليها أن يدفع عنها كتابتها وتكون مهرها ويتزوجها، فوافقت-رضي الله عنها.----عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: وقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس، أو ابن عم له،
وكانت امرأة مُلَّاحة، لها في العين حظ.يعني كانت على قدر من الجمال والحسن والبهاء.

قالت: "فجات تسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كتابتها،---- فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مقامها، وعرفت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم---- سيرى منها مثل الذي رأيت".---
-فقالت: يا رسول الله، إني جويرية بنت الحارث،-- وقد كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسي، وجئتك يا رسول الله أستعينك على كتابتي.

فقال -صلى الله عليه وسلم: (أو خير من ذلك؟). ما رأيك في مسألة أحسن مما تعرضينه.

قالت: وما هو يا رسول الله؟--قال: (أدفع عنك كتابتك وأتزوجك). -----قالت: قد فعلت--
فما أن تزوجها،----- حتى قال أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم: أصهار رسول الله تحت أيدينا، صاروا أنساب الرسول عبيد،---- فالصحابة لما رأوا الرسول تزوج جويرية قالوا: أصهار رسول الله تحت أيدينا!------فبادروا فأطلقوا سرح السبايا كلهن،

قالت عائشة: "فما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق بسببها أكثر من مئة من اهل بيت من بني المصطلق"-----.وكان لهذا التصرف من النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه أثره العظيم في نفوس بني المصطلق،---- حيث رأوا أن هذا التصرف لا يمكن أن يكون تصرف ملك؟ لماذا؟

لأن الملوك لا يفعلون هذا الفعل،---- ولا يحسنون هذا الإحسان، وإنما الملوك كما قال رب العالمين: {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} [النمل: 34]، -------لكن محمدًا لم يفعل شيئا من ذلك،--- بل رفع من شأن جويرية، وأكرمها وأعزها، وتزوجها، ----ورفع بذلك الزواج المبارك من شأن أبيها،---- وأطلق أكثر من مئة أهل بيت بسبب هذا الزواج المبارك.

فلما رأى الحارث بن أبي ضرار هذا التصرف أيقن أنه لا يمكن أن يكون تصرف ملك،----- وأن هذه الأخلاق إنما هي أخلاق النبوة، وأيقن أن محمدًا لابد أن يكون رسول الله حقًا، فقام ودعا قومه بني المصطلق للإسلام،-

فأسلموا وحسن إسلامهم، وكانوا بعد ذلك حماة الإسلام والدعاة إليه رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله أجمعين
هذه غزوة بني المصطلق.حدث في هذه الغزوة حادثتان عظيمتان:

1----أولها كادت أن تفرق جمع المسلمين وتمزق شملهم،-- فتدارك رسول الله الأمر بفطنته وذكائه وحسن رأيه وكياسته السياسية وحنكته السياسية، وقضى على المشكلة والنزاع الذي حصل.

2---والمشكلة الثانية أو الحادثة الثانية عالجها رب العالمين -سبحانه وتعالى- بنفسه، وأظهر فيها الحقائق.

هاتان الحادثتان اللتان حدثتا في غزوة بني المصطلق:

1 -الحادثة الأولى: كان قد خرج مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى بني المصطلق نفر من المشركين، فكان خروجه شوكة وسط ورود النصر،---- وصبرًا وسط حلاوة الغنيمة، ----وكدرًا عكَّر صفو القلوب المؤمنة.----بدر هؤلاء المنافقون إلي بلبلة الموقف، ----وزعزعة الرأي وإثارة الفتنة، ---وغرس بذور الفتنة في النفوس -----وإثارة العصبية الجاهلية. كيف تم ذلك؟

عن جابر -رضي الله عنه- قال: كنا في غزاة -قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق- فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار -كسع: يعني ضربه برجله- فقال الأنصاري: يا للأنصار،---- وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (ما بال دعوى الجاهلية؟).

قالوا: يا رسول الله: كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار.-قال: (دعوها فإنها منتنة).---
لا تقولوا أنتم من المهاجرين، ونحن من الأنصار،--- -لا تقولوا أنت كذا ونحن كذا، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]، {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [إلى عمران: 103].
قال: (دعوها فإنها منتنة)، وانتهت القضية.

فسمع عبد الله بن أبي بالخبر، ان واحدً من المهاجرين كسع رجلً من الأنصار----، قال: أوَ قد فعلوها؟ لئن رجعنا إلى لمدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.--------يعني -لعنه الله- بالأعز نفسه، وبالأذل رسول لله -صلى الله عليه وسلم.

فقال عمر: يا رسول لله، دعني أضرب عنق هذا المنافق.--فقال -صلى الله عليه وسلم: (دعه يا عمر، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه).

قال الإمام النووي -رحمه الله: -------"قول النبي لعمر (دعه، لا يتحدث الناس أن حمدًا يقتل أصحبه)،-----
فيه ما كان عليه -صلى الله عليه وسلم- من الحلم------، وفيه ترك بعض الأمور المختارة----، والصبر على بعض المفاسد خوفًا ن أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منها".

وكان -عليه الصلاة والسلام--كيف-يتصرف مع المنافقين---

1---- يتألف الناس،------- ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيره ----لتقوى شوكة المسلمين وتتم دعوة لإسلام،--- ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة،--- ويرغب غيرهم في الإسلام،

2---- وكان يعطيهم الأموال الجزيلة،----- ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى،--- ولأنهم في الظاهر مسلمون،---- وقد أمر بالحكم بالظاهر وترك السرائر إلى رب العالمين سبحانه،--- ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه ويجاهدون معه، إما حميَّة أو لطلب دنيا أو لعصبية أو غير ذلك.

3----ولقد كان لهذا التصرف الجليل ولهذ الحلم والعفو من الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن ابن أبي--- له أثره في نفوس الصحابة كلهم،----- ولا سيما في نفس عبد الله----- ابن عبد الله بن أبي،--- فما أن رجعوا إلى المدينة حتى

قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها، وطفق الناس--- يمرون حتى إذا ر عليه أبوه وأرد أن يدخل، قال: تأخر.---
الابن يقول للأب: ---تأخر، ارجع، والله لا تمر ولا تدخل المدينة حتى تقر بأنك الذليل ورسول لله العزيز.

ففعلها مكرهًا، وصدق الله إذ يقول: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: 22].

2---الحادثة الثانية التي تولى الله -تبارك وتعالى- بنفسه علاجها وإظهار الحق فيها وإبطال الباطل فيها، فهي (((حادثة الإفك)))-----، الشائعة التي روجها أيضًا----- عبد لله بن أبي------ ضد أمنا عائشة لمبرءة من فوق سبع سماوات -رضي الله عنها وأرضها.----فما هي هذه القصة -قصة الإفك وحادثة الإفك؟ وكيف ظهرت؟ وكيف نشأت؟ وكيف تلقاها الناس؟ وكيف نزل الوحي بفصل الخطاب في المسألة؟

لنترك صاحبة الشأن -رضي الله عنها- أمنا عائشة -رضي الله عنها- تحدثنا عما كان من أمرها من حديث لإفك أو حادثة الإفك.

عن أم المؤمنين عائشة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- ورضي لله عنها قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن يخرج في سفر أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه.---كان -عليه الصلاة والسلام- لما يحب يسافر يعمل قرعة بين النساء أمهات المؤمنين، يريد واحدة معه فمن يأخذ؟ يعمل قرعة، فأيما امرأة خرج سهمها أخذها معه.

قالت -رضي الله عنه: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت بعدما أنزل الحجاب---، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غزوته تلك وقفل -أي رجع- ودنونا المدينة، آذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة بالرحيل.-----أنت تعلم أنهم يسافرون بالبر مسافات طويلة، وبين الحين والآخر يستريحوا في الطريق، يتغدون، يتعشون، يرتاحون، ينامون، ثم يمشون.

تقول: لما رجع -عليه الصلاة والسلام- من الغزوة واقترب من المدينة نزل منزلًا للراحة، ثم أمر المندي ينادي: ركبوا حتى نمشي.

قالت: فقمت------ حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش.---يعني لما قال اركبوا، أردت قضاء الحاجة، فذهبت بعيدًا فقضت حاجتها، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل.

وكانت تركب هودجًا، والهودج كان يوضع على الجمل ويغطونه بستارة كبيرة مرفوعة على أربع خشبات، وتقعد هي بالداخل، وكن جماعة موكَّلين يرفعون الهودج وينزلونه.---قالت: فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدي فإذ عقد لي من جذع أظفار قد نقطع.-كانت لابسة عقدًا في صدرها فانقطع فلم تجده.----قالت: فرجعت فالتمست عقدي، أخذت تبحث عن العقد.---قالت: فحبسني ابتغاؤه، تأخرت وهي تبحث عنه.

قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركبه-- يحسبون أني فيه.-
-الهودج عبارة عن---- غرفة، خيمة صغيرة متنقلة، الرسول قال اركبوا، فجاء الجماعة المكلفين بتحميل عائشة وتنزيلها، فحملوا الهودج وهم يظنونها فيه، ومشوا.

طيب، كيف لجماعة أن يحملوا هودجًا ولم يشعروا أن الساكنة غير موجودة بالبيت هذا؟!

قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلن، ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، لم يستنكر القوم خفة الهودج فحملوه، وكنت جارية حديثة السن.---الرسول -عليه الصلاة والسلام- تزوجها في السنة الثانية تقريبًا من

الهجرة وهي بنت تسع سنين،---- وغزوة بني المصطلق في سنة خمسة من الهجرة--، فيكون عندها اثنا عشر أو ثلاث عشر سنين، ---فجارية صغيرة، لسي لها جثة، فالرجال لما يحملون الهودج لن يشعروا بالفارق في الوزن.

قالت: فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش.

لما وجدت العقد رجعت.---فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب.---------رجعت للمكان الذي نزلت فيه فلم تجد أحدًا.

قالت: فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم يفقدونني فيرجعون إليّ.----أين تذهب في الصحراء؟!
قالت: أظل أجلس في نفس المكان لأنه متى شعروا أنني لست في الهودج سيرجعون لي، فلما يرجعوا المكان يجدونني.

قالت: فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي عرَّس من وراء الجيش.-----عرَّس أي بات بالليل.

قالت: فأدلج، يعني أصبح بكرًا يمشي.------قالت: فصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم.---واحد نائم ومغطى، فلم يعرف من هو، رجل أو امرأة.

قالت: فأتاني فعرفني حين رأني، وكان يراني قبل الحجاب.-----يعني لما نامت -رضي الله عنها- كأن وجهها انكشف كما يفعل في النائم، فلما دنا صفوان رآها.

قالت: فاستيقظت باسترجاعه، إن لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول لله! تركوا أم المؤمنين ومشوا؟! مصيبة!-قالت: فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي،----لما قامت من النوم ورأت أن وجهه مكشوف غططت وجهها.

تقول -رضي الله عنها: والله ما كلمني بكلمة، وما سمعت منه كلمة غير استرجاعه، "إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول لله -صلى الله عليه وسلم!"----------وهوى حتى أناخ راحلته -برك الجمل- ووطئ على يديه فركبتها.ركبت، وأعطى لها ظهره، وبرك الجمل، وركبت.

قلت: فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش ----وقد نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني.ابن أبي لعنه الله- لما رأى امرأة راكبة الجمل، ورجل يقود بها. قال: من هذا؟---قالوا: صفوان.

قال: ومن الراكبة؟---قالوا: عائشة.قال ----لعنه الله: انظروا إلى امرأة نبيكم باتت مع رجل أجنبي، ثم أصبح يقود بها، والله ما سلمت منه ولا سلم منها -لعنه الله.

قالت: وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت شهرًا -مرضت- والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر.------فهي مريضة تجلس في البيت ملازمة للفراش، الناس يتكلمون في الخبر، الكلمة الأفاكة الأثيمة التي قالها ابن أبي لاكتها الألسن والناس تتكلم،--- وعائشة في البيت ملازمة الفراش لا تعرف شيئًا.

قالت: ولكن يريبني في وجعي أني لم أرَ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اللطف الذي كنت أرى نه حين أشتكي.

تعلمون من عائشة، هي أحب نساء النبي إليه، وقد صرح بذلك، قيل يا رسزل الله: من أحب الناس إليك؟ قال: (عائشة).قالوا: ليس عن هذا نسأل.------فكان يحبها حبًا جمًا.

فتقول: لما كنت أمرض كنت أرى منه اللطف والمداعبة والدلال، زوجة حبيبته مريضة، فزوجها الحبيب يؤنسها ويلاطفها ويداعبها، لكن هذه المرة --- مريضة وتقول: لم أجد منه ما كنت أجده في كل مرض.

قالت: إنما يدخل فيسلم، ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف.
قالت: فخرجت أنا وأم مسطح -وهذ واحد من المسلمين الصادقين، وكانوا ثلاثة مسلمين صادقين خاضوا في الإفك مع المنافقين- فخرجت أنا وأم مسطح قِبَل المناصع وهي متبرزنا.----العرب كانوا لا يتخذون دورات المياه في البيوت، فكان عيبًا ومكروهًا، البيت للسكن والإقامة والراحة-----، لكن قضاء الحاجة في الصحراء.---

-قالت: وكنا لا نخرج إلا ليلا --الى الليل.---النساء حتى تخرج وتقضي حاجتها من الليل إلى الليل.

قالت: وذلك قبل أن نتخذ لكُنُف قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في لتبرز قِبَل الغائط ----والأصل في الغائط: المكان المنخفض في الأرض، -----كان الواحد حتى يقضي حاجته ينزل يبحث عن أكثر مكان انخفاضًا حتى إذا جلس يكون مستورًا ولا يراه أحد------- وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فأقبلت أنا وأم مسطح حين فرغنا من شأننا نمشي.----خرجت هي وأم مسطح في ليلة من الليالي قضت الحاجة ورجعت.

قالت: فعثرت أم مسطح في جلباب -عثرث وهي تمشي- فقالت: تعس مسطح -الأم تدعو على ابنها- فقالت عائشة: بئس ما قلت.انظر، سبحان الله! مسطح يقول ماذا وهي تقول ماذا.------

قالت: تعس مسطح-----، قالت عائشة: بئس ما قلتِ، أتسبين رجلًا شهد بدرًا؟
فقالت أم مسطح: ألم تسمعي ما قال؟---أنتِ يا ابنتي تدافعين عنه؟! ألم تعلمي ما يقوله فيكِ.---------
قالت: قلتُ: وما قال؟- فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا إلأى مرضي.

فلما رجعت إلى بيتي دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسلم، وقال كيف تيكم؟--قلت: أتأذن أن آتي أبوي؟ تسمح لي يا رسول الله أذهب ببت أبوي.

قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، أنظر أبي وأمي عرفوا هذ الكلام أم لا؟-- -
فأذن لي رسول لله -صلى الله عليه وسلم-، فأتيت أبوي فقلت: يا أمتاه، ما هذا الذي يتحدث الناس به؟

فقالت لها: أي بنية، هوني عليك-----، فوالله لقلَّما كانت مرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها.

هذه يا ابنتي عادة الضرائر، لما الرجل يكون متزوج اثنين، ثلاثة، أربعة،---- فدائما يحصل بين الضرائر الكلام هذا، فلا تغضبي، وما حدث شيء يكون بين الضرائر.------فقلت: سبحان الله! ولقد تحدث الناس بهذا؟----------
قالت: فبكيت تلك الليلة لم يرقأ لي دمع، ولم أكتحل بنوم.--طوال الليل تبكي، لم تنم، ولا الدمع توقف من عينيها.

قالت: ثم أصبحت أبكي،------ فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين --تلبث الوحي، القرآن لم ينزل، جبريل لم يأت، ولا يعلم الغيب إلا الله، رسول الله لكن لا يعلم -عائشة بريئة أو غير برئ فضلًا عن أبيها وأمها لم يعرفون، والوحي لم ينزل.فدعا أسامة وعلي ******يستشيرهما.----
***قالت: فأما أسامة فقد أشار على رسول الله بما يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه من الود الذي له.------فقال أسامة: يا رسول الله أهلك، --ولا نعلم إلا خيرًا، هم أهلك ولا نعلم عن أهلك إلا خيرًا.

****وأما علي فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير.---طبعا علي ابن عم الرسول، وعلي فداه بروحه ليلة الهجرة لما نام في فراشه -كما شرحنا في الدروس السابقة----- فطبعًا يضره ويؤذيه أن يرى رسول الله مهمومًا-----، فهذا سبب إشارة علي أن يتزوج، لأن لرسول مشغول برسالة مهمة يريد تبليغها، فلا يشغل باله بالنساء، يطلقها ويرتاح ويفرغ لما كلفه الله به.

قال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

الجارية بريرة خادمة عائشة، فقال: اسألها.--قالت -رضي الله عنها: فدعا رسول لله -صلى الله عليه وسلم- بريرة، قال: (أي بريرة، هل رأيتِ فيها شيئًا يريبك؟)، هل تشكين فيها؟

قالت بريرة: والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمرًا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حادثة السن تنام عن عجين أهلها، فيأتي الدواجن فيأكله،------- والله يا رسول الله ما أخذت على عائشة شيئًا غير أنها بنت صغيرة، فنعجن العجين ونقول: انتبهي يا عائشة لا يأكل الدجاج العجين، فتنام وتترك لعجيب، وتأتي الدوجن تأكله.

قالت: فقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال -صلى الله عليه وسلم- وهو على المنبر: (يا معشر المسلمين،----- من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي،---- فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي).

قالت: فقام سعد بن معاذ، فقال:----- يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه،---- إن كان من لأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج -------أمرتنا ففعلنا فيه أمرك.

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج،---- وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا،--- فاحتملته الحمية،--- فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله ----لاتقتلّه، ولا تقدر على قتله---

فقال اسيد ابن حضير-وهو ابن عم سعد---- لعمرك لنقتلنه------ إنك منافق تجادل عن المنافقين.

فتثاور الحيَّان الأوس والخزرج حتى كادوا---- يقتتلون ورسول الله قائم على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبحت عند أبوي وقد بكيت ليلتين ويومًا، وهما يظنان أن البكاء فالق كبدي.

وإلى هنا انتهى وقت الدرس، ولم ينتهِ الحديث.

فماذا كان بعد ذلك؟ وكيف برَّأ الله -تبارك وتعالى أمنا عائشة -رضي الله عنها- من فوق سبع سماوات؟

هذ -إن شاء الله- نعرفه في الدرس القادم، فقال ذلكم الحين أستودكم لله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.